

(الخائفون والخائفات من الله في الخلوات)

حُكْمَةُ جُمِعَةٍ لِشَيْخِنَا الْفَاضِلِ أَبِي الْمُنْذِرِ مُنِيرِ السَّعْدِيِّ الْعَدَنِيِّ — حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

١٧ ذي الحجة ١٤٤٦ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعود بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ ثُغَاثِهِ وَلَا تُؤْمِنُ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةً وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رِقْبَيَا).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

أما بعد: فإنَّ أَصدقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَحَيْزُ الْمَدِي هَدِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَةٌ بِدُعَةٍ، وَكُلُّ بِدُعَةٍ ضَلَالٌ، وَكُلُّ ضَلَالٌ فِي النَّارِ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللَّهِ:

يقول الله جل جلاله في كتابه الكريم: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) نقف مع هذه الآية العظيمة، نقف مع معناها، وما تشتمل عليه من فوائد عظيمة، فقوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) الخشية هي شدة الخوف، ولهذا وصف الله عز وجل بها العلماء، فقال سبحانه: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) لأهل العلم معنيان في قوله سبحانه: (في الغيب)، فالمعنى الأول في قوله: (يخشون ربهم بالغيب) أي يخشونه وهم لا يرونـه ، كما قال النبي ﷺ لحريل في جوابه عن الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فهوـلـاء يخشـونـ ربـهمـ، وـهمـ لاـ يـرـونـهـ، كما قال عليه الصلاة والسلام: (تعلـمـواـ أـنـكـمـ لـنـ تـرـواـ ربـكـمـ حتـىـ تـقـوـواـ) فـرؤـيهـ اللهـ جـلـ وـعـلـاـ غـيرـ مـكـنـةـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ، وـمـعـ ذـلـكـ هـذـاـ المؤـمـنـ وـهـذـهـ المؤـمـنـةـ يـخـشـونـ ربـهمـ وـهـمـ لاـ يـرـونـهـ.

والمعنى الثاني: (يخشـونـ ربـهمـ بـالـغـيـبـ) أي يـخـشـونـ ربـهمـ وـهـمـ بـعـيـدـونـ عـنـ النـاسـ، بـعـيـدـونـ عـنـ أـعـيـنـهـمـ، يـخـشـونـ ربـهمـ فـيـ السـرـ، يـخـشـونـ ربـهمـ فـيـ الـخـلـوـاتـ، وـكـلـاـ الـمـعـنـيـنـ صـحـيـحـ، يـخـشـونـ ربـهمـ بـالـغـيـبـ أيـ يـخـافـونـ اللـهـ وـهـمـ لاـ يـرـونـهـ، وـيـخـشـونـ ربـهمـ بـالـغـيـبـ يـخـشـونـ اللـهـ فـيـ السـرـ وـفـيـ الـخـلـوـاتـ وـبـعـيـدـاـ عـنـ أـعـيـنـ النـاسـ، وـإـذـاـ كـانـواـ كـذـلـكـ فـيـ السـرـ فـهـمـ كـذـلـكـ فـيـ الـعـلـاـنـيـةـ، يـخـشـونـ ربـهمـ بـالـغـيـبـ، وـيـخـشـونـ ربـهمـ فـيـ الشـهـادـةـ، هـوـلـاءـ مـعـشـرـ الـمـسـلـمـينـ قـدـ جـاءـتـ النـصـوصـ وـالـآـثـارـ بـذـكـرـ أـمـثـلـةـ عـلـىـ هـوـلـاءـ الـخـائـفـينـ وـالـخـائـفـاتـ مـنـ اللـهـ جـلـ وـعـلـاـ فـيـ الـخـلـوـاتـ، فـمـنـ ذـلـكـ وـمـنـ هـوـلـاءـ: نـبـيـ اللـهـ يـوـسـفـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ، فـقـدـ كـانـ شـابـاـ أـعـزـباـ غـرـيـباـ، فـدـعـتـهـ الـمـرـأـةـ وـهـيـ رـبـةـ الـبـيـتـ، فـلـاـ يـخـشـىـ مـعـ ذـلـكـ الـفـضـيـحـةـ؛ لـأـنـهـ رـبـةـ الـبـيـتـ، وـهـيـ الطـالـبـةـ، وـكـانـ عـلـىـ قـدـرـ

عظيم من الجمال، **(وغلقت الأبواب وقالت هيـت لك)** أي تحيات لك، فلا يراها إلا الله جل وعلا، فهنا تحقق ليوسف عليه السلام مقام المراقبة، والخوف الشديد والخشية من ربه تبارك وتعالى، فقال: **(معاذ الله إـنه ربـي أـحسن مـثـواـي إـنه لا يـفلـح الـظـالـمـون).**

ومن جنس هذا العمل ما جاء في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال: **(ورجل دعـته اـمـرـأـة ذات منصب وجـمال) فلا يـخـشـي إـذـا فـعـلـتـهـاـفـاحـشـةـلاـيـخـشـيـتـبـعـةـوـلـافـضـيـحـةـوـذـاتـجـمـالـ،ـوـمـعـذـكـقـالـهـذـاـرـجـلـ:** **(إـنـيـأـخـافـلـهـ)** قال القرطبي -رحمـهـالـلـهـتـعـالـىـ:ـ "ـوـهـذـاـلـاـيـصـدـرـإـلـاـعـنـشـدـةـخـوـفـمـنـالـلـهـ،ـوـمـتـيـنـتـقـوىـوـحـيـاءـ"ـ فـلاـيـصـدـرـإـلـاـمـنـكـانـذـاـخـوـفـشـدـيدـمـنـالـلـهـجـلـوـعـلـاـ،ـوـكـانـإـذـاـتـقـوىـمـتـيـنـوـحـيـاءـمـتـيـنـ.

وفي ذلك الحديث الصحيح: في أولئك الثلاثة الذين آوى بهم المبيت إلى الغار، فانحدرت عليهم صخرة سدّت عليهم باب الغار، فقال أحدهم - وقد كانت له ابنة عم وكان يحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فراودها عن نفسها، وطلب أن يفعل بها الفاحشة، فأبانت لأنها شريفة عفيفة، حتى ألمت بها سنة من السنين، وحصلت لها مجاعة، ووصلت إلى حال الاضطرار، فجاءت لابن عمها تطلب منه المساعدة: ساعديني يا ابن عمي؛ فإني في جوع شديد!، فقال: لا؛ حتى تمكّني من نفسك، فاتفقا على مائة وعشرين ديناراً، يقرب من نصف كيلو من الذهب، حتى إذا قعد بين رجلها، قالت له: "اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه" أي إلا بالزواج، "فما فعلت هذا إلا لأجل الضرورة" فلما سمع ذلك حصل له مقام الخوف من الله جل وعلا، فقام عنها، وترك لها المال، ودعا ربه: "اللهم إني كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، وما قمت عنها وأنا قادر عليها إلا خوفاً منك ورغبة فيما عندك ففرج عنا ما نحن فيه".

وهكذا من أمثلة الخائفين من الله في الخلوات: تلك المرأة التي دعاها الرجل إلى الفاحشة، فقال: "هلمي؛ فإنه لا يرانا إلا الكواكب" فقالت المرأة: "فأين موكبها؟! أين خالقها ومدبرها؟!

إـذاـمـاـخـلـوتـالـدـهـرـيـوـمـاـفـلاـ *** تـقـلـخـلـوـتـولـكـنـقـلـعـلـيـرـقـيـبـ

وـلـأـنـمـاـتـخـفـيـعـنـهـيـغـيـبـ *** وـلـاـتـحـسـبـنـالـلـهـيـغـفـلـسـاعـةـ

وذلك الرجل من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله الذي ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه، هذا من أمثلة الخائفين من الله جل وعلا في الخلوات، يذكر الله عز وجل وهو لوحده، لا يراه أحد، ففاضت عيناه، قال أهل العلم: إما خوفاً من الله، وإما شوقاً إليه.

وخرج ابن عمر رضي الله عنه مع أصحاب له في السفر، حتى إذا كانوا في الطريق، نزلوا وأعدوا الطعام، فمر بهم راعٍ، ومعه غنم، فقال ابن عمر: "يا أيها الراعي: تعال، وكل معنا" فقال الراعي: "إني صائم" فقال ابن عمر: "أَتَصُومُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ

الحر وأنت في هذه الجبال ومعك هذه الغنم؟!" فقال: "إني أبادر الأيام الخالية"، فأراد ابن عمر أن يختبره، فقال له: "هل تبيع لنا شاة من هذه الغنم، فنذبحها، ونعطيك شيئاً من لحمها تفطر عليه؟"، فقال الراعي: "إنما ليست لي، إنما لسيدي" فقال ابن عمر: "وماذا عساه سيدك فاعلاً، إن فقدها قلت له: أكلها الذئب" فولى الراعي وهو يرفع اصبعه إلى السماء ويقول: "فأين الله؟!" فبكى ابن عمر بكاء شديداً، وظل يردد كلام الراعي "فأين الله؟!" ورجع إلى مكة، وأرسل إلى سيد ذلك الراعي، واشترى منه الراعي والغنم، واعتق الراعي، ووهبه الغنم.

فأين الله -معشر المسلمين-؟! نحن بحاجة إلى هذا المقام، جمعينا بحاجة إلى هذا المقام -مقام المراقبة ومقام الخوف الشديد من عز وجل- لا سيما في الخلوات، لا سيما في السر، لا سيما إذا كنا بعيدين عن أعين الناس، البائع بحاجة إلى هذا المقام في بيته، فلا يكذب، ولا يغش، ولا يدلس، فأين الله إذا كنت تكذب وتغش؟!

وهكذا التاجر لا يُوقع الناس في المشقة، ولا يستغل أحواهم، فأين الله؟!

وهكذا المسؤول يقوم بمسؤوليته، والوزير والرئيس والمدير الكل يسأل نفسه: فأين الله؟!

مقام المراقبة والخوف الشديد من جل وعلا.

وهكذا -معشر المسلمين- نحن مع جوالاتنا ومع هذه الأجهزة الذكية التي فيها المصائب والبلاوي، فأين الله عندما تنظر النظرة الحمراء؟! فأين الله عندما تدخل الموقع الإباحي؟! فأين الله عندما تنظر إلى الصور الخليعة؟! فأين الله؟! لا بد أن يكون فينا هذا الواقع، والله لا نجاة لنا ولا لشبابنا ولا لأبنائنا ولا لبناتنا مع هذه الجوالات إلا بالخوف من الله تبارك وتعالى، فأين الله؟!

ما أجمل أن يكون الشاب جواله نظيفاً، ليس فيه مقاطع خليعة، ولا مناظر محرمة، ما أجمل أن يكون الشاب في خلوته والشابة في خلوتها لا ينظران إلى ما حرم الله، لا يعاكس بنات الناس، وربما إذا جاءته معاكسه من فتاة قام بمحظرها؛ لأنها تخاف من الله، وهكذا الفتاة ما أجمل إذا دخل الشاب يعاكسها على وسائل التواصل، قامت بمحضره؛ لأنها تخاف من الله. فأين الله معشر المسلمين معشر الشباب.

هذا هو الجمال هذا هو الجمال الحقيقي، أن تكون خائفاً من الله جل وعلا في هذه المواطن، وإذا كنت كذلك فإنك ستكون كذلك في العلانية، فنحن بحاجة إلى أن نصلح أحوالنا مع الله تبارك وتعالى، وكم نبحث عن الحلول وعن العلاج، وأنفع العلاج وأنجع العلاج هو مراقبة الله والخوف من الله تبارك وتعالى في صلاح الأحوال وفي صلاح البلاد وفي صلاح العباد.

نحن بحاجة إلى خائفين وخائفات من الله جل وعلا؛ حتى تصلح الأحوال، ويصلح الشأن كله.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسلیماً كثيراً، أما بعد، أيها المسلمون عباد الله:

إن الخوف من الله جل وعلا في الخلوات له ثمار عظيمة، منها ما جاء في هذه الآية: **(إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)** فشدة الخوف من الله جل وعلا سبب عظيم من أسباب المغفرة، والإنسان لا يوقع الذنوب في الغالب إلا بسبب الشهوات، والخوف الشديد يحرق هذه الشهوة، فمن خاف الله خوفاً شديداً فإنه يحرق بذلك الشهوات، فينکف عن المعاصي، وينبعث في الطاعات، تلك الطاعات المكفرة للذنوب، ستتجده محافظاً على الصلوات، محافظاً على الجمع والجماعات، وهذه من الطاعات التي يكفر الله عز وجل بها الذنوب والخطايا، ولهذا قال بعض السلف: "الخوف الشديد يدل على كل خير".

وهكذا من ثمرات الخوف من حصل وتحقق له هذا المقام لا سيما في الخلوات فإنه التقى، وهو الورع، وهو العفيف، فالخوف يورث التقى والورع والعفة والفضيلة.

وهكذا من ثمار الخوف من الله جل وعلا في الخلوات أن من خاف الله عز وجل، وخشي ربه بالغيب فإنه يورث مهابة في قلوب الخلق، كما جاء في بعض الآثار أن من خاف من الله جل وعلا خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله، وحاف من غيره، أخافه الله من كل شيء.

وهكذا من ثمار الخوف في هذه الدنيا أنيك تجد الأمان يوم القيمة، كما جاء في الأثر أن الله عز وجل لا يجمع على عبده أمنين ولا خوفين، فمن أمن في هذه الدنيا أخافه الله يوم القيمة، ومن خاف من الله في هذه الدنيا أَمْنَه الله يوم القيمة.

وهكذا عشر المسلمين الخوف من الله ثماره: ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، فمن أولئك الذين يظلهم الله في ظله: أولئك الذين خافوا الله جل وعلا، وانتهوا عن المحaram؛ لأنهم يخافون الله جل وعلا، ويدركون الله عز وجل في خلواتهم، فتفيض أعينهم من الدمع؛ خوفاً من الله، وفي الحديث: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحوس في سبيل الله).

وهكذا من ثمار الخوف والأجر الكبير الذي أعده الله عز وجل للخائفين والخائفات في الخلوات بالغيب: الجنـة (وَأَمَّا من خاف مـقام رـبـه وـنـهى النـفـس عـن الـمـوـى فـإـن الـجـنـة هـي الـمـأـوى) الجنـة هي مـأـواه، (وَأَرْلَفَت الـجـنـة لـلـمـتـقـين غـير بـعـيد * هـذا

ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي الحديث: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما) قال بعض أهل العلم: "جنة لترك المعاصي، وجنّة لفعل الطاعات".

عبد الله: (من خاف من الله أدخل) أي أسرع في ترك المعاصي، وأسرع في الطاعات والقربات، (ومن أدخل بلغ المنزلة، إلا إن سلعة الله غالبة، إلا إن سلعة الله الجنة).

بتفریغها: بعض طلبة الشيخ.